

## ٢- الصقالية في الرواية العربية وفي الدولة الأندلسية للأستاذ محمد عبد الله عنان

- ٣ -

ونلاحظ أنه بينما كان نفوذ الصقالية يقوى ويشد في بلاط قرطبة وفي الدولة الأموية في الأندلس ، إذا بنفوذ الصقالية ينفذو بلاطاً إسلامياً آخر ودولة إسلامية أخرى هي الدولة الفاطمية ؛ وبما يد ر إلى التامل أن يزدهر النفوذ الصقلي في البلاط الفاطمي في نفس العصر ، أعني في أواسط القرن الرابع الهجري ، وفي ظروف مماثلة ؛ وقد قامت الدولة الفاطمية في المغرب بمؤازرة القبائل المغربية القوية ، واستأثر زعمائها مدى حين بمناصب الثقة والنفوذ ؛ ولكن تطوراً وقع في السياسة الفاطمية ؛ ومنذ عهد المرز لدين الله ينفذو نفوذ الصقالية البلاط الفاطمي وينال نفوذ القارية ؛ وقد كان جوهر الصقلي أعظم أعوان المرز وكبير قادته من أصل صقلي ، وكان له في الدولة وفي الجيش أعظم نفوذ ؛ وفي عهد المرز سما نفوذ الصقالية وساد في القصر وفي الوزارة ؛ وبلغ ذروة قوته في أوائل عهد الحاكم بالله الذي تولى الملك صبيحاً وتولى الوصاية عليه صقلي هو برجوان ؛ وفي عهد وصايته القصير سيطر الصقالية على القصر والدولة ، واستأثر بمناصب النفوذ والحكم نفر من الفتيان الصقالية مثل يانس وميسور وعين وغيرهم ؛ ولكن الحاكم لم يلبث أن تخلص من هذا النفوذ الخطر بمقتل برجوان ونكبة الفتيان الصقالية ، وبذلك انهيار نفوذ الصقالية في البلاط الفاطمي<sup>(١)</sup>

وكان ذلك في أواسط القرن الرابع وفي أواخره حيث كان يزدهر نفوذ الصقالية في بلاط قرطبة في عهد الناصر حسبنا بيننا ، ثم في عهد ولده الحكم المستنصر من بعده . ولما توفى الناصر كان نفوذ الصقالية أشد ما يكون بسطة في القصر وفي الحكومة ؛ وكان فتيان القصر الصقالية وهم المعروفون بالخلقاء الأكبر أول من أخذ البيعة

(١) القرظي (مصر) ج ٣ ص ١٧ و ١٨ و ج ٤ ص ٦٨

وكسرها. قرنها أهدناها كلبة سوداء ، فتقدّرتها وعفت لهما ولم أطم منها  
ثم أو ما إلى الآخر وقال : هنا لا يدري ما طحّاهما ، وهو مثل العنز تحمب قرنها للقتال والتطاح ومنهما تمك للذبح .  
قتل في هذا يا أستاذ ( نايبة القرن العشرين )

قلت للآخر : أيرضيك أن أقول في المعنى لا فيك أنت ... ؟  
قال نعم ، فكنت هذه الأبيات على ما يريد النايبة :

قل لمرّ ناطحها نقتال سلحها  
مالها قد طرحها في يدن ذبحها

\* \* \*

شيمة مني نحاها عقل غر فلحها  
ليس يدري ما طحها بل يرى شمس نحاها  
حجرًا مثل زحاهما ويرى الليل نحاها  
ظلمًا طالت لحها

\* \* \*

وسر ( النايبة ) وازدهى وجمل يقول طالت لحها ، طالت لحها ؛ وما كان هذا إلا السرور الأصغر ؛ أما سروره الأكبر فنجى ساعى ( البريد المستعجل ) إلى الندى وفي يده رسالة عنونها : نايبة القرن العشرين فلان بندي كذا

وجمل الرجل يهتف بالعنوان يسأل عن صاحبه ؛ فتطاوات أعناق الناس ورفعوا أبصارهم ينظرون إلى ( نايبة القرن العشرين ) وقد مدّ يده يتناول الرسالة وكأنه ملك من القدماء أسقط له كتاباً بالفتح العظيم وبضم دولة إلى دولته

ثم ترك الرسالة بين أصابعه يقلبها ولا يفضّها ونحن في دهشة من أمره ؛ فنظر فيها المجنون الآخر وقال له : هذا عجيب يا أخى كيف هذا ؟ إن هذا لا يصدق . إنك لم تُلقيها في صندوق البريد إلا منذ ساعة ... ..

للنصر في

( لها بنية )

المشهوره : كتب الينا فاضل يد كر بعض سخافات البصرين قاهما من أحد كتبهم وسألنا الرد عليهم فأبلغ الرد على هؤلاء تجنبهم وإهمال كل ما يكتبون إذ هم مصابون بجنون الفكرة الدينية ؛ ومشاهم في كل ما يكتبونه عن الإسلام مثل رجل أمريكي ( نايبة ) ... يريد أن يقيم لك البرهان على أن الجمل الرين إنما هو مصنوع في مصانع فورد ... الرافض

عاصر تنفيذ الجريعة ، وبذا استقر هشام المؤيد في المرش الخلافي ،  
وانهار مشروع الصقالية ؛ ودبت الوحشة على أثر ذلك بين الصقالية  
والحاجب جعفر ، فأخذ يتحين الفرصة لمحقهم ؛ وكان ابن أبي  
عامر يستميل الصقالية ويدارهم بادي ذي بدء حتى تمكن نفوذه  
في القصر وفي الجيش ؛ وعندئذ اتفق مع الحاجب على نكبة  
الصقالية وتشريدهم ، ولم يدخر في ذلك وسيلة ظاهرة أو مستترة  
حتى شررد زعمائهم واستصفيت أموالهم وأخذت شوكتهم ،  
ونفى زعيمهم فائق إلى الجزائر الشرقية ( جزائر البليار )<sup>(١)</sup> ، وفي  
ذلك يقول شاعر معاصر هو سعيد الشتريني :

أخرج من قصر امام الهدى كل فتى منبسط جائر  
فن رأينا منهم قال لا مساس قبل الناس بالشاكر  
نخف ظهر الملك المرتضى قد خف من ثقلهم الظاهر  
وسال ماء العلم من وجهه مذ مال عن حبلهم الخائر  
فلازم الميدان في قصره مع الوزير الخير الظاهر

ولما سما أمر ابن أبي عامر وسحق كل خصومه ومنافسيه  
واستبد بالسلطة ، رأى أن يتخذ من البربر بطانة له وخولا وأن  
يستعين بهم على العرب ، فقدمهم في الحكومة والجيش ، وعمل  
على تعزيز القبائل العربية ؛ وكانت المصيبة العربية قد اضمتحت  
منذ بعيد ، فلم تلق السياسة الجديدة معارضة تذكر ؛ وهكذا حل  
البربر مكان الصقالية في الالتفاف حول السلطة العليا والتمتع  
برعايتها ، بيد أن الصقالية لم يفقدوا كل نفوذهم ، فقد استمر  
عدد كبير منهم يشغل وظائف الخاص بالقصر ؛ ولما أنشأ ابن  
أبي عامر حاضرتة المروقة بالواهرة ، وأخذ سمحة الملك وتسمى  
بالحاجب المنصور ، عاد إلى اصطناع الصقالية ، وأخذ منهم إلى  
جانب البربر حاشية وبطانة ؛ وحشد منهم كثيراً في الجيش<sup>(٢)</sup> ؛  
والظاهر أن هذه الطائفة أعنى الصقالية كانت تتمتع بصفات  
وخلال خاصة تجعلها أداة لينة صالحة في يد السياسة القوية  
الحازمة ، وإذا كان الصقالية قد بدوا في أحيان كثيرة خطراً  
على الدولة والمرش فقد كان ذلك من أثر السياسة التي تمد لهم في  
السلطة وتسمح لهم باستغلالها ، وتنفي عن سلفهم وتمردهم ؛ وقد

للحكم المنتصر ؛ وكان حاجب الحكم ، جعفر بن عبد الرحمن  
الصقالي أقوى وأعظم وجل في الدولة<sup>(٣)</sup> ؛ وكان الحرس الخلافي  
للكون من الفتيان الصقالية سياج البيعة الخلافية وأبرز  
مظاهرها ؛ وكان من وزراء الحكم أيضاً زياد وعمد ابنا أفلح  
الصقالي صاحب الخيل في عهد الناصر<sup>(٤)</sup> ؛ وفي عهد الحكم غدا  
الحرس الخلافي كل شيء في القصر ، وغدا عصمة الخلافة والخليفة  
يسهر على سلامة عرشه وشخصه ، وبمحيطه من المؤامرات  
والدسائس الخارجية ؛ وكان أولئك الجند الصقالية يمتدون  
بقوتهم وسلطانهم ويمرحون في العاصمة ويسيثون أحياناً إلى  
أهلها ، وكان الحكم يخشى بأسمهم وينفي عن تصرفهم وسوء  
سلوكهم<sup>(٥)</sup> ؛ وكان عدد الحرس الخاص من الفتيان الصقالية  
يبلغ زهاء ألف ، يسد أنهم كانوا يتمتعون بوفرة في الوجاهة  
والثراء ، ويملكون الضياع الشاسعة ، وسيطرون على كثير من  
الأتباع والحاشية<sup>(٦)</sup>

وهكذا أصبح الحرس الخلافي أو الفتيان الصقالية في بلاط  
قرطبة أصحاب الحول والقوة ، وغدوا عاملاً بحسب المرش حساباً ،  
بل غدوا قبل بيميد حكماً في مسألة المرش وولاية العهد ، مثلما  
غدا الحرس التركي في بلاط بغداد . ولما توفي الحكم ( سنة ٨٣٦٦ م  
٩٧٦ م ) كان الصقالية هم سادة الموقف وأصحاب الكلمة في  
ولاية المرش والخلافة . وكانت زعامتهم بيد فائق النظامي صاحب  
البرد والطارز ، وجوزر صاحب الصاغة والبيازرة ، والهما كان  
أيضاً أمر الفلمان الفحول خارج القصر . وكان وأى الصقالية  
أن يصرف النظر عن تولية ولي العهد هشام بن الحكم ، وهو  
يوشد غلام في نحو الحادية عشرة حتى لا يفقدوا نفوذهم في ظل  
وصاية جديدة ، وأن يولي الخلافة أخو الحكم المنيرة بن عبد الرحمن  
الناصر فيكون لهم بذلك فضل يحكمهم من توطيد نفوذهم  
وسلطانهم عليه ؛ ولكن الحاجب جعفر المصحفي أدرك ما يضمرة  
الصقالية من وراء هذا المشروع ولم يقرهم على ائتمامهم بولي العهد ؛  
ونظم البيعة لهشام ولي العهد بمعاونة الوزير محمد بن أبي عامر ؛  
ودبر الاثنان مقتل المنيرة بن الناصر خشية مناوآته ، وتولى ابن أبي

(١) فتح الطيب ج ١ ص ١٨٠ — البيان للغرب ج ٢ ص ٢٥٨

(٢) فتح الطيب ج ١ ص ١٨١ — ابن الأبار في الحلة السيرة ص ١٥٤

(٣) Dozy ; ibid II P. 255

(٤) البيان للغرب ج ٢ ص ٢٧٧

(١) البيان للغرب ص ٢٨٠ و ٢٨١ — ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٧ —

Dozy ; ibid ; II 207

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٨

والمستعين يحاول استمالهم عينا ، واضطربت الحرب بين الفريقين مدى حين ، وانتهت باستيلاء سليمان على قرطبة في مناظر هائلة من السفك والميث ( ٤٠٣ هـ ) وانهار سلطان الصقالبة بانهار عرش المؤيد ؛ وبدأ سلطان البربر ، واستأثروا بحكم الثغور والنواحي ، وانتشر عقد الخلافة وانقسمت الأندلس الى دويلات وإمارات صغيرة ، وبدأ عهد الطوائف

بيد أن الصقالبة لم ينسحبوا نهائيا من الميدان ، ولم يحتفوا نهائيا ككامل يؤثر في سير الحوادث فقد اجتمع فاهم حول زعيم منهم ، من صنائع الدولة العاصرية ، هو خيران العاصري ؛ واستقر خيران بعصبته ومن لحق به من خصوم المستعين والبربر الى المرية بمد أن استخلصها من يد البربر ؛ وفي الوقت نفسه عبر على بن حمود حاكم سبته في جيش من البربر الى الأندلس محاولا أن يشق له خلال الاضطراب طريقا ، ونظام مع خيران العاصري والصقالبة وتحالفا على محاربة المستعين ، ثم زحفا بجموعهما على قرطبة ، ونشبت بين الفريقين حرب راثمة هزم فيها سليمان وأسر ثم قتل مع أفراد أسرته ؛ وجلس على بن حمود على العرش وتلقب بالمتوكل ( ٤٠٧ هـ ) . ولجا في الحال الى سياسة الأدهاب والشدة ، ولم يترك أى مجال أو ساطة للصقالبة ، فدخط عليه خيران وركه ، وأظهر الخلاف عليه . وأثار المتوكل يعطسه وشده زعماء العرب ، واشتدت عليه النقمة ، ولم يلبث أن قتله الصقالبة في الحمام ( أواخر سنة ٤٠٧ هـ ) وبذلك استطاعوا أن يؤثروا في سير الحوادث ككرة أخرى

ولما توفى المتوكل خلفه أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالأمون ، وعدل عن سياسة الشدة الى اللين والسالة ، واستمال خيران العاصري الذى استمصم بالمرية ، وأقطع زميله زهيرا العاصري ولاية جيان ؛ وكانت الحوادث تتطور بسرعة ، وكان الخلاف يضطرم فيما بين آل حمود ؛ فانهز الزعماء العرب تلك الفرصة وتفاهموا مع الصقالبة ضد آل حمود والبربر ، واستخلصوا قرطبة من يد التظليل عليها ؛ بيد أن نجم الصقالبة كان بدأ بالأفول ، ولم يكن يسطع يومئذ إلا غرارا ؛ وكانت دولتهم قد انهارت في الواقع وتفرقوا بين مختلف الصفوف والأحزاب ؛ وكانت آخر مظاهر سلطتهم أن تولوا الحجابة لادريس بن حمود الذى استقر في مالقة وتلقب بالتأييد بالله ، فتولى حجابته نجا الصقالبي مدى حين ، ولكن دون عصبية ظاهرة

كانت هذه حال الصقالبة في عهد الحكم المستنصر وحين وفاته ، فقد بلغ من ساطتهم ونفوذهم أن اعترموا التصرف في أمر العرش طبق أهوائهم ، ولولا أن سحقتهم يد ابن أبي عامر القوية لاستمر سلطانهم المطلق . بيد أن ابن أبي عامر لم يجد بأسا بمد أن أخذ شوكتهم وشرذ زعماءهم من أن يستخدمهم أداة لتنفيذ إرادته ، بل لم يجد بأسا من أن يرفع بعضهم الى أسمى المناسب ، كما حدث في شأن مولاة الفتى واضح الصقلبي ، فقد منحه حكم الولايات الجنوبية وولاه قيادة الجيش الذى بعثه لمحاربة أقوى وأخطر خصومه زيرى بن عطية البربري حاكم المغرب الأقصى ؛ وقد كان لواضح هذا وعصبته الصقالبة شأن عظيم فيما تلا من الحوادث والمخطوب

— ٤ —

ولم يستطع الصقالبة في ظل حكومة المنصور القوية أن يتدخلوا في شؤون الدولة أو يؤثروا في سيرها وتوجيهها ؛ فلما توفى الحاجب المنصور ( ٣٩٣ هـ - ١٠٠٢ م ) ، وانهارت الدولة العاصرية بمدئذ قليل ، رأى الصقالبة الفرصة سانحة للعمل ، فانضموا الى الحزب الأموي الذى عمل لاستقاط الدولة العاصرية وسحق البربر الذين آزرها ومكنوا لها ؛ ولما ظفر محمد بن هشام زعيم هذا الحزب بيفيته واستولى على قرطبة وتلقب بالمهدى ، انضم اليه الفتى واضح وعصبته الصقالبة واتخذ واضحا لحجابه وانضم فريق آخر من الصقالبة بزعامه خيران العاصري وزميله عنبر الى سليمان للمستعين خصيم المهدى ومنافسه ، وجرت بين الفريقين مواقع حجة ، واستتب الأمر للمهدى ؛ ولكن الصقالبة لم ينجحوا الى السكينة ورأوا صالحهم في إبعاد المهدى عن العرش ، فتفاهم الصقالبة من الحزبين واتمروا واضح وخيران بالمهدى فقتله الصقالبة ، في الحمام ( سنة ٤٠٠ هـ ) وأخرج واضح الخليفة المؤيد هشام المحجور عليه ، وكان سجيننا بالقصر منذ أيام للمنصور ، وأجلسه على العرش ؛ وتولى واضح حجابته ، واستأثر بكل رأى وسلطة ؛ وقبض على ناصية الأمور في قرطبة مدى حين ؛ ولكن سليمان المستعين لم يلبث أن هاجم قرطبة في جموعه البربر ثم دخلها رغم كل ما اتخذ له واضح من الأهبة لمقاومته ، وقتك جنده بالسكان أيعا فتك ، واقتحموا مدينة الزهراء وخربوها ( ٤٠١ هـ ) ؛ فعندئذ رأى واضح السلامة في خيانة المؤيد والحجاج بالمستعين ؛ ولكن الجند الصقالبة وقفوا على نيته في الوقت المناسب فقتلوه ؛ واستمر الصقالبة في الدفاع عن قرطبة وعن المؤيد وعمرهش ،

## مذاهب الفلسفة

## مذهب الذرائع

PRAGMATISM

للأستاذ زكي نجيب محمود

أقد لبثت الفلسفة دهرًا طويلًا تسبح في سماء الفكر المجرد ، فلا تصنى بأذائها إلى الحياة العملية التي تخرج بأصداؤها أرجاء الأرض جميعًا . ولا تحفل بالواقع الذي تراه الأبصار إلا قليلاً ، فقد قصرت مجهودها - في الأعم الأغلب - على جوهر الأشياء في ذاتها ، وأخذت تسائل : ما المادة وما الروح وما مبهمهما ؟ ولكنها جاءت بمد طول الكدح والغناء بالفشل والافلاس ... حتى جاء الفكر الأمريكي الحديث الذي يقدر العمل ويعتق البحث النظري الجذب المقيم ، وأراد أن يفتحو بالفكر نحوًا جديدًا ، فلا يكون من شأنه كنه الشيء ومصدره ، بل نتيجته وعقباه . واتقد كان أول من صاغ هذا المذهب وليام جيمس ( ١٨٤٢ - ١٩١٠ ) الذي اعترف أنه قد استمد أصوله وقواعده من أشنات قديمة . وأن له فضل الصياغة والتعبير . أما رسالته التي قصد إلى أدامها بمذهبه فهي في أوجز عبارة : أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولاً ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال ثانيًا

إنه لمن الغفلة والشطاط أن تُؤنى هذه القوة العقلية فبنددها في البحث عما وراء الطبيعة من قوى مما لا غناء فيه للانسان ولا رجاء ؛ إن العقل إنما خلق ليكون أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكالمها ، فلينصرف إلى أداء واجبه ، وليضرب في ممعمان الحياة العملية الواقعة ، فليست مهمته أن يصور بريشته عالم الغيب المجهول ، الذي لا يكاد يربطه بحياة الانسان سبب من الاسباب ، وليكن مقياسه الذي يفصل به بين الحق والباطل هو مقدرة الفكرة المينة على إنجاز أغراض الانسان في حياته العملية ، فان تضاربت الآراء وتمارضت ، كان أحقها وأصدقها هو أقمعها وأجداها ، ذلك التي نهض التجربة العملية دليلًا على فائدته . وكل شيء يؤثر في الحياة تأثيرًا متجانسًا يجب أن يكون في اعتبارنا هو

وكان هذا آخر العهد بتدخل الصقالية في سير الحوادث الأندلمية بصورة بارزة . ومن ذلك الحين يخفقون من ميدان الشؤون الأندلمية كقوة فعالة لها أثرها الحاسم في توجيه الحوادث ، ومن ذلك الحين يبرز نجم البربر ؛ وتتحول الحركة الداخلية إلى نضال مزدوج ، نضال ملوك الطوائف فيما بين أنفسهم ، ثم نضالهم ضد العدو المشترك أعنى أسبانيا النصرانية ؛ ثم يجرى دور البربر في السيادة المطلقة بسرعة ، فتهازل دول الطوائف الصغيرة تحت ضرباتهم القوية ، وتسقط الأندلس في يد المرابطين ثم يفتتحها الموحدون ، فتستمر سيادة البربر عصرًا آخر ؛ ثم نهض مملكة غرناطة في تلك النهار والخطوب العصيبة فسقط في الأندلس حتى يحل الصراع الأخير .

محمد عبد الله عنانه

تم البحث

(النقل ممنوع)

## وَحْيُ الْقَلْبِ

## مقالات الأستاذ الرافي

مائة مقالة في جزأين

ألم القراء على الأستاذ « مصطفى صادق الرافي » في جمع مقالته ، فهيا للطبع مائة مقالة تقع في جزأين كبيرين ، وقد فتح باب الاشتراك إلى آخر شهر ديسمبر من هذه السنة ، وجعل قيمة الاشتراك في الجزئين عشرين قرشًا صاغًا غير أجرة البريد وهي ثلاثة قروش لناخل القطر المصري ، وخمسة عشر قرشًا للأقطار الأخرى كي يرسل الكتاب مسجلًا وسيكون الثمن بمد الطبع أربعين قرشًا صاغًا ، ولا يطبع فوق عدد المشتركين إلا قليل ، وترسل قيمة الاشتراك باسم الأستاذ الرافي في طنطا ، وللقيمون في القاهرة يشتركون من إدارة « مجلة الرسالة »